متوَلّى الشَّعَراوى

الشَّيْخُ خَفِيْفُ الظل

- سر الحديث الصحفى الذى أقام الدنيا، ولم يُقعدُها
- شفافية الشيخ الشعراوى مكنته من اكتشـــاف السؤال قبل طرحه
- حكاية برطمان «الفســـيخ» الذى كان يحمله معه فى كل عزومة
- فى الثالثـــة الثانوية أنـــذره والده بإتمام زواجه خلال أسبوعين
- تزوجت باختيار أبى.. وتركت لأولادى حرية الاختيار

عندمـا بدأت في إعداد هذا الفصل لم تكـن الصور وحدها هي مرجعي بل كان الصوت أيضاً أحد الوسـائل التي اسـتدعيت بها ذكريات عزيزة مع فضيلة الإمام الشيخ «محمد متولي الشعراوي»، الـذي أتيح لـي أن أصحبه في الكثير مـن الرحلات، وأن أحظى بأكثر من عشـرة أحاديث صحفية نُشـرت في العديد من الصحف العربية من بينها مجلة «أكتوبر». وجريدتي «السياسة»، و«الهدف» بالكويت، وجريدة «الأحرار» وغيرها.. والتي تم نشـرها في كتاب أصدرته منذ سنوات بعنوان رحلة مع الشيخ الشعراوي.

وأعترف أن الراحل الكبير قد شملني بكرم شـديد، وتقبَّل منِّي أسـئلة يمكن وصفها بالمشاغبة، والذين اقتربوا من شيخنا الجليل يعلمـون عنه خصالاً وخصائص تميـز بها وأصبحت سمات بارزة في شـخصيته.. فكان رحمه الله بالإضافة إلى موهبته في التفسـير، وغـزارة العلوم الدينية التي تخصص فيهـا خفيف الظل إلى أبعد الحـدود، وكثـيراً ما كان يمـرر العديد من فتاواه، ودروسـه من خلال تبسـيط الكلمـات والمعاني، إضافة إلى مفرداته السـاخرة، وقفشاته المحببة.

فسيخ الشيخ

كان الشـيخ «الشـعراوي» بالغ الكرم إذا ما دخلت منزله قدَّم لك بالإضافة إلى الحفاوة وحسـن الاستقبال كل ما لديه من خير. فإذا حاولت الاعتذار قال ضاحكاً عبارته الشهيرة «من دخل بيتنا

فهـو آكل»؛ ومع تنـوع موائده العامرة فقـد كان كثيراً ما يحضر «برطمان زجاجي» بداخله قطع «فسيخ» مغموسة في الزيت، ويظل يضغط عليك أن تأكل من هذا الصنف أو ذاك بل كثيراً ما يمد يده إليك بقطعة لحم أو نوع من قطائف المائدة، لكن الشـيء العجيب أن الشـيخ كان يستأثر لنفسـه بقطع «الفسيخ» التي كثيراً ما كان يحملها معه في العديد من الرحلات التي أتيح لي أن أصحبه فيها، وأذكر مرة أن دعانا الصديق د.«حسـن راتب» إلى قرية سـياحية يملكها في العريش، وقد كان الشيخ يحتفظ لصديقنا «حسن راتب» بمشـاعر حب خاصة، وهكذا كان المُضيف، وبعد أن افتتح الشيخ «الشعراوي» المسجد الذي أقيم في القرية ذهبنا لتناول طعام الغداء، ووضع أمامنا د.«راتب» مائدة عامرة وسخية، فأشار إليّ الشيخ أن أجلس بجانبه ثم أخرج «برطمان الفسـيخ» إيّاه، وقال لي..«طبعاً أنت مستغرب أن الأكل ده كله أمامنا وأنا أفضل عليه «الفسيخ».. وللحق فقد كانت هذه الدهشـة تلح عليّ، وكان هذا التساؤل يكاد يصرخ داخلي .. ضحكت قائلاً: «فعلاً يا مولانا.. فسيخ إيه وسط وليمة د.«حسـن راتب» العامرة.. رد الشيخ: «طب خد حتة كلها وأنت سـاكت، ففعلت ذلك صاغراً، لكني أقسـم أنني ما تذوقت طعاماً في حياتي أشهى من «فسيخ الشيخ» بعد أن كنت من أعداء الفسيخ، والزاهدين في أكله.

واسـتمرت رحلاتي مع الشـيخ، وفي «الغردقـة» كانت دعوة أخـرى كريمة من الصديق العزيز الفريق «يوسـف عفيفي» محافظ

البحر الأحمر حينئذ. وفي المساء فعل ما فعله د.«حسن راتب». وامتلأت المائدة بما لذّ وطاب. لكن الشيخ نظر إليّ، وقال: «إيه يا سي مصطفى.. تلاقي نفسك في حتة فسيخ.. والله بعينك». وطلب مني أن أحكي لمضيفنا ما حدث بيننا في العريش.. وذاق الفريق «يوسف عفيفي» «فسيخ الشعراوي»، وظل مثلي يطلبه في كل وجبة، ومن مظاهر كرم الإمام الجليل أنه كان يأتي لنا ببعض الهدايا الشخصية التي كانت تُقدَّم إليه من أحبائه مثل مسبحة قيمة أو ساعة ثمينة أو غيرها.. لم يكن يحتفظ بها لنفسه بل كان يسعد بتقديمها لأصدقائه.

شَفَافِيةُ الشَّيْخ

لم أكن أنسى أثناء مرافقتي للإمام الجليل أنني صحفي، وأن عليَّ أن أستفيد من فرصة وجودي بجانبه. ومشاعره الكريمة تجاهي فأقدم لقرائي من وقت إلى آخر وجبة شهية من الأحاديث الصحفية التي أجريتها معه، لكن الأمر الغريب الذي لم يصادفني طوال سنوات عملي الصحفي الطويلة، والتي تركّزت معظمها في إجراء الحوارات مع العديد من الشخصيات؛ الغريب أنني كنت قبل أن أطرح السؤال على الشيخ «الشعراوي»، وبمجرد البدء بأول كلمة فيه.. أفاجأ أنه بادر بالإجابة. فإذا أردت أن أُعَقِّب على الإجابة بسؤال جديد أراه قد بدأ في الإجابة على السؤال الجديد.. أقسم أن هذا الأمر ليس فيه أية مبالغة أو تحريف.

عندما خَاصَمَنى الشَّيْخ

ذات يـوم فوجئت بمكالمة من الكاتب الكبـير «صلاح منتصر» رئيـس تحريـر مجلة «أكتوبـر» في ذاك الوقت، وقـد كان صديقاً للشيخ «الشـعراوي». وصديقا عزيزاً جداً لي.. فاجأني متسائلاً.. يـا محمد أنت مش صديق الشـيخ «الشـعراوي؟».. قلت أيوه.. خير! قال: طب ما تعمل معاه حديث .. حديث عن إيه؟.. ما هي الجرايـد والمجـلات مليانة كل يوم بأحاديثه وآرائه – شـجعني الأسـتاذ «صلاح منتصـر» وقال: بس أنا عـارف إنك حتطلع منه كلام كويس.. يعني مثلاً رأيه في شركات توظيف الأموال. وكانت وقتها موضوع السـاعة مـع بداية الانهيـار.. وبالفعل التقيت مع الشـيخ بعـد دعوة كريمة مـن صديقي رجل الأعمـال «ملاك عبد الرحمن». وفي منزله المطل على حديقة الأسماك. وبعد وجبة غداء سخية. قلت للشيخ: إيه رأيك يا مولانا نقعد في التراس نتفرج على الحديقة ونهضم بحديث صحفي ننشره في مجلة «أكتوبر»؟، ضحك الشيخ. وقال: تلاقي سي «صلاح منتصر» هو اللي مسلطك.. قلت: بالضبط .. قال: ياله يا سـيدي هـو أنا أدك أنت وهو.. وانصرفنا إلى «التراس» وسـط احتجاج الحضور الذين أرادوا عدم اسـتئثاري بالشيخ وحديثه الممتع. وياله من حديث صحفي ساخن ضم العديد من المحطات الشـائكة. أجاب خلاله الشيخ على أسئلتي بجرأة وصراحة. وبخبرة الصحفي المحنّك راح الأسـتاذ صلاح منتصر

ينشر العناوين الساخنة على غلاف المجلة، وعدد كبير من صفحات الداخـل، لكن حدث ما لم أكن أتوقعه.. حيث قامت الدنيا، ولم تقعد فانبرى عدد من الكتاب يفندون آراء الشيخ خاصة أن بعضهم كان يختلـف معه في الرأي، ويـرى أن اقترابه من بعض أصحاب شركات توظيف الأموال قد دفع الناس للثقة بهم مما أدى إلى ضياع أموالهم فيما بعد، وكانت سلسلة مقالات للكاتب الصحفي «محمد جـلال» رئيس تحرير مجلة «الإذاعة والتليفزيون» وقتئذ بعنوان «لا يا شـيخ شعراوي» أتبعها بحوار مطول مع الشيخ حول الآراء التي أدلى بهـا لي ثم جمع المقالات، والحـوارات في كتاب حمل نفس العنوان «لا يا شيخ شعراوي».

وبعد عدة أسـابيع مـن هذه الضجـة التقيت بفضيلـة الإمام «الشعراوي» في الغردقة، وعلى مائدة غداء الفريق «يوسف عفيفي» رحت أداعبه كالعادة، لكنه قابلها بتكشيرة لم أعتدها منه وقال: اسمع يا سـي مصطفى أنا زعلان منك..شـوفت اللي انت عملته بحديـث «أكتوبر».. قلت لكن يا مولانا.. أنت قلت كل حرف في الحديث وأنا لم أغير كلمة واحدة.. بل بالعكس أنا تجاهلت بعض ردودك التي أحسسـت أنها ستثير مزيداً من الغبار.. رد في حسم أنا مخاصمك وخلاص .. ولم أنطق بكلمة واحدة طوال الرحلة بل تعمَّـدت أن أختفي على رغم إلحاح الفريق "يوسـف عفيفي" أن أتواجد في جلساته مع الشيخ، ومرَّت ثلاثة أشهر كاملة لم يحدث فيها أي اتصالات من الجانبين، واستسلمنا لحالة الخصام المشترك

حتى فاجأني الأستاذ «صلاح منتصر» بمكالمة أبلغني فيها أن الإذاعة ستسجل سهرة في منزل الشيخ «الشعراوي» وأنه اختارني بالإضافة إليه ود.«حسن الحفناوي» كضيوف في هذا اللقاء.. أسقط في يدي، وأبلغته بأن الشيخ «مخاصمني» فأكد لي أنه هو الذي اختار ضيوف البرنامج، وأنني من بينهم والواقع أنني فرحت بهذا الترشيح وذهبت مع «صلاح منتصر»، وعندما رآني الشيخ بصحبته احتضنني ووجه كلامه للأستاذ «صلاح» قائلاً: بقى يرضيك يا سي «صلاح» إن «محمد مصطفى» ينتهز فرصة إني واكل أكلة شديدة وياخد مني حديث يقلب الدنيا عليَّ.. ثم أردف تلاقيك انت اللي مسلطه يا سي صلاح فرد ضاحكاً بصراحة أيوه يا مولانا.. وفي سماحة الأب ربت الشيخ على كتفي ضاحكاً.. مش قلتلك إني مش أدك أنت وسي صلاح.. ياللا نتعشى الأول قبل التسجيل.

زَواجٌ تأبيدى

في أحد اللقاءات، وفي لحظة خاصة سألت الشيخ «الشعراوي» عن الظروف التي تزوّج فيها.. سرح قليلاً وقال: عندما زرت والدي في مدينة الزقازيق وقتها كنت في السنة الثالثة من المرحلة الثانوية، ولم يكن والدي راضياً عن بقائي بدون زواج وأبلغني بلهجة حازمة: «قدامك أسبوعين فقط تختار فيها العروسة اللى عايز تتجوزها».

في البداية عارضت فكرة الزواج لكن والدي كان حازماً.. وقد كان.. تزوجت.. والحقيقة لم أختر زوجتي بنفسي.. فقد اختارها

والـدي، ووافقته على اختياره.. وواصل الشـيخ قائلاً: إن الزواج اقتران تكاثر لبقاء النوع، والشـرع حدد أساسا للاختيار سواء من ناحية الزوج للزوجة أم العكس، وجعل الأسـاس يقوم على منهج الله، وأن يدخل الإنسان على الزواج دخولاً تأبيدياً.

«آدَمُ، وحَوَّاءُ».. والشَّيْطَان

عدت لأسأل الشيخ.. هل اخترت لأولادك زوجاتهم؟

في الحقيقـة لقد تركت لهم القرار النهائي في اختيار زوجاتهم، لقد اقتصر دوري على التوعية، والتنبيه على القيم، والمثل العليا، وتذكيرهم بقول الرسول الكريم «إن جاءكم من ترضون دينه، وخلقه فزوّجوه».

قلت للشـيخ ونحن قريبون من محطة الزواج والرجل والمرأة.. هنـاك من يقول أن «حواء» هي التي تسـببت في إخراج «آدم» من الجنـة. رد الشـيخ: هناك خطأ شـائع عندما يعتقـد البعض أن الشـيطان قد أغوى «حواء» وحدها، وبالتالـي فقد غوت «حواءُ» «آدم» فأكل من الشـجرة المحرمة.. الواقع أن الشـيطان قد أغوى الاثنين معاً آدم وحواء.. إن الشـيطان سعى بوسوسته حتى يعصي آدم وحـواء ربهمـا.. فينالهما عقابه كما نالـه العقاب بالطرد من رحمـة الله.. ويواصل الشـيخ قائلاً: إن الجنة الـتي عاش فيها «آدم» لم تكن جنة الخلد، إن العيش في جنة الخلد لا يأتي إلا بعد انتهاء الحياة الدنيا.

أقوالٌ مأثورة

وألتقط من أرشيف حواراتي مع فضيلة الإمام الراحل الشيخ «محمد متولي الشعراوي» بعض السطور التي أجد أنها جديرة بإعادة طرحها:

– إن ما يفسد العالم أنك تأتي فيما ترك الله فيه الاجتهاد للعقل وتقول: إن اجتهادي أنا هو الصحيح، واجتهاد الآخرين خطأ.

– المرأة تحكمها العواطف هذه العواطف جزء من تكوينها، ولا يمكن أن تكون امرأة بدون هذه العواطف.

– الشباب مظلوم الشباب لم يُرَبَّ التربية السليمة، والأسرة لم تقم بدورها المطلوب في تربية هذا الشباب، ولذلك بدأنا نسمع عن ظاهرة المخدرات والإدمان.

– معنى الحرية على الإطلاق ليس له وجود في الإسلام.

– الإسلام لا يعارض أي تقدم، أو ارتقاء مادي مادام محروسا بالقيم.

– حب المال يجعل الإنسان في كثير من الأحيان يبحث عنه بأية وسيلة ولا يفرق بين الحلال والحرام.

– ليس من المعقول أن يحكم الذين لم تنضج أفكارهم بعد .. ولم يؤهلوا لممارسة هذه المسئوليات.

– ضمير الإنسان عادة لا يستيقظ إلا بعد أن يكون قد صنع الشر. والدين يبني حاجزا بين الإنسان وبين الشر.

الشيخ يجيب على أسئلة المؤلف